رد ابو عمر

ينطلق الدكتور نديم البيطار من ان الفكر العربي « الثوري » لا يزال فكرا قاصرا عاجزا اي غير «ثوري»، فهو فكر مثالي متافيزيقي طوبائي اخلاقي وعظي او بكلمة واحدة « تبشيري » . وأهم ميزة للفكر التبشيري حسب تعريف البيطار هي ركضه وراء مقاصد لا يمكن تحقيقها وذلك لعدم توفر الظروف الموضوعية الملائمة او الوسائل المناسبة.

ومن هذا المنطلق يحاول الدكتور البيطار ان يبرهن ان الفكر المقاوم الذي يسعى الى تحرير فلسطين عن طريق حرب التحرير الشعبية هو أيضا ليس قاصرا وعاجزا فحسب بل هو أعلى مرتبة من مراتب الفكر التبشيري .

ان كل من يدعي مثل الدكتور البيطار انه لا فرق بين ماضينا وحاضرنا الفكري ، أللهم الا الازدياد في التبشيرية لا يقل ضلالة عمن يدعي اننا أصبحنا ثوارا متحررين من ماضينا الفكري التبشيري . اننا نعيش في مجتمع تعرض ، وما زال يتعرض ، لصدمات عنيفة نتيجة تخلفه وتسلط الدول المستعمرة المتفوقة تكنولوجيا عليه ، ولقد ابتدأت في مجتمعنا على اثر هذه المواجهة تغييرات هامة على الصعيدين الاجتماعي والفكري . وان النظرة الى الفكر العربي ، ماضيه وحاضره ، كمجرد فكر تبشيري لم يحدث فيه اي تغيير ولم يطرأ عليه اي تطوير ، كفكر ترجع تبشيريته الى علاقته بفلسفة الحياة الدينية الماورائية ، هي نظرة مبسطة لا تدرك علاقة هذا الفكر الحية بالواقع الاقتصادي والاجتماعي ولقد حان الوقت لدراسة الفكر العربي دراسة علمية تكشف النقاب عن العلاقة الجدلية بين الفكر والواقع . لا عجب ان تكون طبيعة فكرنا اليوم متأثرة بطبيعة فكرنا بالامس كما أن واقعنا اليوم متأثر الى حد كبير بواقعنا بالامس ولكن واقعنا اليوم هو غيره بالامس وما يلفت الانظار ويسترعي الاهتمام هو ليس استمرارية الماضي (فهذا شيء طبيعي) بل بروز خصائص جديدة في حاضرنا السياسي والفكري .

ثمة فرق كبير بين الفكر العربي التقليدي والفكر العربي الثوري بما فيه فكر المقاومة . فان الفكر السياسي العربي او بالاحرى الاسلامي كان تبشيريا الى حد بعيد لانه كان يركض وراء مقاصد لم يكن من الممكن تحقيقها لعدم توفر الظروف الموضوعية والوسائل المناسبة . فلقد ركز الفكر السياسي الاسلامي في بادىء الامر على قيام مجتمع على اساس الشريعة . وبعد ان اصطدم اهل العلم بواقع القوة والتركيب الطبقي للمجتمع تبين لهم تعذر ذلك فأخذوا يدعون الى قيام مجتمع على اساس الشريعة والعدل ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول الى انظمة ووسائل تحقق مقاصد العدل فاعتمدوا على نصح السلاطين وضغط الواعظين .

اما الفكر الثوري العربي بما فيه فكر المقاومة فهو ليس غريبا عن الفكر العلمي والتراث الثوري للعالم الحديث ، واهداف الثورة العربية (بما فيها المقاومة) في التحرير من الاستعمار والصهيونية والرجعية اهداف يمكن تحقيقها وثمة وسائل متوفرة لتحقيقها . ومع كثرة المثقفين الذين يرون في التراث العلمي نماذج جاهزة للتطبيق بدلا من ان يروا فيها نظرية ومنهجا للتحليل والتغيير ، فاننا نرى عددا متزايدا من المناضلين اخذوا يدركون ضرورة الخلق والابداع في التحليل ووضع البرامج المناسبة للتغيير وذلك ليس عن طريق الفكر المجرد بل عن طريق الممارسة والمعاناة المستنيرة بفكر وتجارب من سبقنا على الدرب الطويل . ان المشكلة التي تواجه الثوار اليوم هي ليست مشكلة فكرية مجردة بل هي مشكلة سياسية ايديولوجية ، فالنظرية العلمية والمنهج العلمي في متناول الكثير ولا نحتاج الى اكتشاف القوانين العامة من جديد . ولكن الحاجة هي الى الاستفادة من القوانين العامة في فهم الاوضاع الخاصة وايصال هذه المفاهيم الى الجماهير والعمل على هديها ضمن اطر التنظيم الثوري . وفي مثل هذه العملية نحتاج الى الكتب والمقالات والمفكرين ولكن آلاف الكتب والمقالات والمفكرين لن يجدوا فتيلا اذا لم يرتبطوا عاجلا او آجلا بالجماهير عن طريق التنظيم . ان العمل الثوري في علم السياسة يوازي المختبر في علم الطبيعة وكما ان مدى صلاحية النظرية تحدده تجارب المختبر فكذلك مدى صلاحية الفكر الثوري تحدده الممارسات الثورية .

ماذا يقصد البيطار بقوله ان الفكر المقاوم « تبشيري » او اعلى مراتب الفكر التبشيري ؟ معنى ذلك ، وحسب تعريف البيطار نفسه هو ان هذا الفكر يتميز فيما يتميز به « بالركض وراء